Archive of SID

Philosophy of Religion
Vol. 16, No. 1, Spring 2020
Manuscript Type: Research Article

https:// journals.ut.ac.ir/
Print ISSN: 2423-6942
Online ISSN: 2423-6934
DOI: 10.22059/jal-lq.2019.268281.849

The Manifestations of "Arab cultural Presence" in the Poetry of Persian Poets, According to the French School
(Pessimism to the Owl, for Example)

Mohammad Hassan Amraei*
Assistant Professor, Department of Arabic, State University, Iranshahr, Iran

(Received: December 26, 2019; Accepted: August 27, 2019)

Abstract
It was said in the literary, historical and religious texts of ancient Iran that the owl was a blessed bird loved by them. It was said that a large part of the Zoroastrian Avesta was singing on his tongue; so that when he was reading this owl (Avesta) the demons and the Ahrman fled from his annoying cry, For fear of it. The Arabs considered the owl to be an ominous bird in general, absolute, as it suggests misery, misery and death, according to their intellectual and cultural resources. This pessimistic view was gradually leaked to the Persian, and was rooted in the perspective of the optimistic Persians and the writers and poets until they replaced them. The Persian literature and the Iranian poets' literature remained only a small fraction of that usual optimism. After Islam entered Iran in the Sassanian days and their beliefs in the Persian society, In this study, we seek to shed light on the influence of the culture of the pre-Islamic Arabs on the Persian poets in pessimism based on the theoretical principles of the French school in comparative literature as we try to show the motives of pessimism in the Persian literature influenced by the Arabs of pre-Islamic. One of the most important findings of this study is that the pope has an optimistic view of the ancient Persians, so that they attributed it to the blessed asceticism and sanctified the sanctification of the gods and raised it to the level of sanctification and worship. But this bird lost its positive face in the Persian literature gradually during the fifth and sixth centuries AH and beyond influenced by the Arabs of the pre-Islamic. We now do not see the optimistic spirit that is required to be present in the Iranian writers and poets except in some very rare cases we often meet negative images of the face of the owl completely.

Keywords
pessimism to the owl, Persian literature, ancient Iran, Arabic literature, ignorant culture, superstition.

---

* **Corresponding Author, Email:** m.amraei@velayat.ac.ir

www.SID.ir

Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٦، العدد ١، ربيع ٢٠٢٠م
صفحة ٢٧ – ٤٩ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

تجليّات الحضور الثقافي العربي في شعر الشعراء الفرس وفقا للمدرسة الفرنسية (التشاؤم بالبوم أنموذجاً)

محمدحسن أمرائي*

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، إيرانشهر، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/١٢/٢٦ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٩/٨/٢٧)

الملخّص

لقد ورد في النصوص الأدبية والتأريخية والدينية لإيران القديمة بأن البوم كان طائراً مباركاً محبوباً لديهم، فقيل عنه: إنّ جزءاً كبيراً من الأفيستا الزرادشتي أُنشد على لسانه؛ بحيث عندما كان يقرأ البوم هذا الكتاب (الأفيستا) يهرب الشياطين والأهرمان من صرخته المزعجة فيفرُّون إلى الصحاري القفرة خوفاً منه. أما العرب فقد اعتبرت البوم طائراً مشؤوماً بصورة عامّة مطلقة إذ إنّه يوحي عندهم البؤس والتعاسة والموت وفق مخزونهم الفكري والثقافي. هذه النظرة التشاؤمية تسرَّبت شيئاً فشيئاً إلى الفارسية، وترسخت في وجهة نظر الفرس التفاؤليّة وسيما الأدباء والشعراء منهم إلى أن حلّت محلّها ولم تُبقِ في الأدب الفارسي ودواوين الشعراء الإيرانيين سوى نزر يسير من ذلك التفاؤل المعهود وهو بعد أن دخل الإسلامُ إيرانَ في أيام الساسانيين وعمّت ثقافة العرب ومعتقداتهم لدى المجتمع الفارسيّ. من هذا المنطلق، نسعى في هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تأثير ثقافة العرب الجاهليين على شعراء الفارسية في التشاؤم بالبوم مرتكزاً على المبادئ النظرية للمدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن؛ حيث تؤكد على تاريخ الأدب ومصادره ومواضيعه وموادّه الأدبية التي تنتقل داخل الأدب القومي وبين الآداب القومية بصورة يمكن دراستها وتتبعها بالوثائق والأدلة. ومن أهمّ ما توصّلت إليه هذه الدراسة أنّ الثقافة الجاهلية المتشائمة تجاه البوم تركت أظلالها على الشعراء الفرس، إذ إنّ هناك للبوم رؤية تفاؤلية لدى الفرس القدماء؛ بحيث كانوا ينسبونه للإيزدان المباركة ويقدّسونه تقديس الآلهات وقد ارتفعوا به إلى درجة التقديس والعبادة؛ ولكن هذا الطائر افتقد وجهه الإيجابي في الأدب الفارسيّ شيئاً فشيئاً خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين وما بعدهما متأثراً بالعرب الجاهليين. ونحن حالياً لم نعد نرى تلك الروح التفاؤلية التي تلزم أن تتواجد لدى الأدباء والشعراء الإيرانيين إلا في بعض الحالات النادرة جدّاً فكثيرا ما نلتقي بصور سلبية لوجه البوم تماماً.

الكلمات الرئيسة

التشاؤم بالبوم، الأدب الفارسيّ، إيران القديمة، الأدب العربي، الثقافة الجاهلية، الخرافة.

* الكاتب المسؤول
Email: m.amraei@velayat.ac.ir

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

نجزم القول ونبرم الحكم بإن البوم كان طائراً مباركاً لدى الفرس الساسانيين وفقاً لما ورد في النصوص الدينية والتأريخية لإيران القديمة (روياني، ٢٠١٢: ١٥٠)، فكانوا ينسبونه إلى آلهاتهم المحببة ويتفاءلون برؤيته؛ إلاّ أنّهم استثنوا نوعاً واحداً من أكبر الأبوام واعتبروه طائراً من فصيلة الشياطين كما جعلوه في فصيلة مسمّاة بـ"الذئاب الخاطفة" (گرگ‌سردگان) لازدياد شراسته في القتال واصطياده الطيور الصغيرة الأخرى (روياني، ٢٠١٢: ١٥١؛ غريمال، ١٣٧٨: ١٢٥)؛ أما العرب فقد أضفت على البوم سمة تشاؤمية عامة ومطلقة إذ اعتقدت بأنّه يوحي البؤس والتعاسة والموت وفق مخزونها الفكري والثقافي (المسعودي، ١٤٠٩: ج٢/١٣٣). ربّما ترجع جذور هذا التشاؤم إلى معتقدات المجتمعات التقليديّة بما فيها من الأوهام والخرافات، فترة ما قبل الإسلام؛ حيث إنّ الأساطير الشعبية والخرافات الموروثية كانت ظاهرة لا تتجزأ منها العقليّة الجاهلية نظراً لأنخفاض مستواها الفكري بصورة عامة. لقد استولت هذه النظرة السلبية للعرب تجاه كائن البوم على وجهة نظر الفرس الإيجابية رويداً رويداً إلى أن حلّت محلّها ولم تُبق في الأدب الشعبي ودواوين شعراء الفارسية سوى قليل من ذاك التفاؤل المألوف والمعهود وذلك بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية ودخول الإسلام إيران، فمن ثمَّ عمّت ثقافة العرب ومعتقداتهم لدى المجتمع الفارسي.

هذا المقال وفقاً للمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن سوف يحاول دراسة التشاؤم بالبوم وتداعياته المنعكسة في الأدب الفارسيّ متأثراً بالعرب الجاهليين ومعتقداتهم الموروثة جيلاً عن جيلٍ.

أسئلة البحث:

هذا المقال سوف يحاول للإجابة عن الأسئلة التالية:

١. كيف انعكست صورة البوم في كل من الثقافتين الفارسية القديمة والعربية الجاهلية ؟

٢. ما هو تأثير الثقافة العربية الجاهلية على الأدباء الفرس في مجال التشاؤم بالبوم ؟

٣. ما هي تداعيات التشاؤم بالبوم ومؤشراته الرئيسية في الأدب الفارسي متأثراً بالمجتمع العربي؟

www.SID.ir

Archive of SID

منهج البحث:

لقد تكوّنت هذه الدراسة من المنهجين الوصفي والتحليلي في تحليل مضمون النصوص الأدبية، فالمنهج الإستقرائي في اختيار الشعراء المدروسين في المقال هذا. كما تركّز على المبادئ النظرية للمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن التي انتشرت انتشاراً واسع النطاق في أقاليم فرنسا وأوروبا على امتداد القرن التاسع عشر (الخطيب، ١٩٩٢: ٣٣-٥٥). يتّضح أنّ أصحاب هذه المدرسة قد حصروا الأدب المقارن ومجالاته النظرية في دراسة العلاقة بين أدب قومي معيّن وأدب قومي أو مجموعة من الآداب القومية. إذن فالهدف الذي كانوا يسعون إلى تحقيقه هو استقصاء ظواهر التأثير والتأثر بين الآداب القومية المقارنة (هلال، ١٩٧٨: ٦). يرى أعوان هذه النزعة أنّ انتقال مادّة أدبية من أدب إلى أدب قومي آخر ليس مسألة عشوائية، بل هو علاقة تاريخية قائمة على السببية، وهذا ما على الأدب المقارن أن يبرهن عليه بصورة لا تقبل الجدال، أي أن يبيّن مصدر التأثر وواسطته ونتائجه (عبود، ١٩٩٩: ٢٦).

هذا ودراسة التأثير والتأثّر في العالم العربي تتمحور على محورين رئيسين: فالمحور الأول يركز على تأثير الأدب العربي في الآداب الشرقية وتأثره بها. وفي مقدمة تلك الآداب الأدبان: الفارسي والتركي. أما المحور الثاني فهو يركز على تأثّر الأدب العربي بالآداب الأوروبية والغربية (عبود، ١٩٩٩: ٣٥). فمن هذا، يهدف المقال إلى تجلية تأثر الشعراء الفرس الإيرانيين بالعرب الجاهليين وفقاً للمبادئ النظرية للمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن.

وأخيراً قدّمنا خاتمة شاملة للدراسة التي تبين صفوة ما حصلنا عليه من النتائج، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

خلفية البحث:

يمكننا القول بأنّ الدراسات حول البوم قليلة جداً. نظمت غادة السمان الشاعرة والأديبة السورية المعاصرة ديوانًا شعريًا أطلقت عليه عنوان: «الرقص مع البوم»، حيث ألقت فيه رؤية تفاؤلية على البوم. وكتبت الطالبة الإيرانية، طيبه كلستاني حتكني، أطروحة في مرحلة الماجستير باللغة الفارسية، معنونة بـ«نمادشناسي حيوانات كليله ودمنه بر مبناي اساطير هند و ايران» وتطرقت في إحدى فصولها إلى رمزية البوم في الأساطير الهندية والإيرانية. طرح وحيد روياني أيضاً بحثاً قيماً، عنوانه: «بررسي تطبيقي جايگاه جغد در ادبيات فارسي وعربي»؛ هذا المقال درس كائن البوم بين الأدبين الفارسي والعربي بصورة مقارنة؛ حيث

www.SID.ir

Archive of SID

قدّم معلومات رائعة عن هذا الطير ومكانته الأدبية بين الأدبين الفارسي والعربي. ونحن راجعنا إلى هذا المقال الرائع واستندنا إليه في لمحات قليلة من بحثنا؛ حيثما لاحظنا أنّه سيحتمل أن يكون مفيداً في تحقيق أهدافنا وإغناء مقالنا الأكثر؛ اللهم إلا أنّه ما تطرق إلى أية علاقة تربط بالتأثير والتأثر التأريخي السائد في مجال التشاؤم بالبوم. وفي السياق ذاته، هناك بحوث أخرى متناثرة على المواقع الإلكترونية ولا يتعدى حجمها في كلٍّ منها عن بضعة أسطر قليلة أو صفحة أو صفحتين، نخصّ منها بالذكر: «طائر البومة في الاسلام نذير شؤم أم فال خير؟»، «سر التشاؤم من البومة والغراب وأشياء أخرى»، «ما سبب التشائم من طائر البوم!؟»، و...

إذن فامتداداً لهذه البحوث، نحن درسنا في هذا المقال تجليّات «الحضور الثقافي العربي في شعر الشعراء الفرس، التشاؤم بالبوم أنموذجاً.

وممّا يلفت اللانتباه أنّ هذا المقال تطرّق إلى التأثير التأريخي للثقافة العربية الأولى الجاهلية عامة على الشعراء الفرس وأهم مجالات هذا التأثير المتفشية بينهم متضمّنًا النماذج الشعرية التي تدلّ على هذا التأثير بصورة نموذجية واستقرائية إذ لا يمكن دراسة جميع الشعراء في هذا الوجيز.

صورة البوم في إيران القديمة

إنّ البوم لقد كان طائراً مباركاً لدى الإيرانيين القدماء في الإمبراطورية الساسانية وفقاً لما ذكرته النصوص التأريخية والدينية للفارسية القديمة مثلما كنا نراه حالياً لدى الأوروبيين والهنود (البطاوي: ٢٠٠٨: ١٧٢) . لقد ورد هذا الطير في النصوص الدينية والتأريخية لإيران القديمة بأسماء عدّة منها: «بوف»، «زوربرك»، «پُش»، «بهمن مرغ»، و«اشو زُشت» (الجاحظ، ١٩٦٩: ١٣٥). قد ذكر في كتاب "*بندهش*" «أنّ هذا الطائر الذي يسمّونه «زوربرك» و «مرغ بهمن» لقد عدّه الفرس القدامى طائرا مقدسا، وقيل عنه: إنّ جزءاً كبيراً من *الأفيستا* (كتاب الزرادشتية) أُنشِدَ على لسانه وهذا الطير عندما كان يقرأ كتاب *الأفيستا* يهرب الأهرمان والشياطين من صرخته المروّعة فيلجأون إلى السباسب المقفرة خوفاً منه؛ فلأجل ذاك التجأ البوم إلى الصحاري والمنازل المهجورة وسكن فيها لئلا ينزل الشياطين والموجودات الأهرمنية فيها وفقا لما ذكر في الفارسي البهلوي (فرنبغدادگي، ١٣٩٥: ١١٢؛ نقلا عن روياني، ٢٠١٢: ١٥٢) . بالتوازي مع هذا، إنّ الأسماء التي أطلقت على هذا الطير، تعتبر

www.SID.ir

Archive of SID

مقدسة ومباركة في الغالب الأعمّ، نخصّ منها بالذكر: «اَشو زُشت» الذي يعدُّ مركباً من جزئين، الجزء الأول: «اَشو» أخذ من «اشه» بمعنى النقاء والورع والجزء الثاني مأخوذ من «زُشت» بمعنى العشق والحبّ وكذلك «بهمن مرغ» (دجاجة بهمن)، وهو اسم مبارك كذلك، سُمّي بهذا الاسم؛ لأنه أول مَن خلقه أهورامزدا وهو رمز للأفكار الحسنة وحكمة الله تعالى التي تنفع الإنسان عقلاً وتدبيراً» (روياني، ٢٠١٢: ١٥٢).

كما أشرنا إليه آنفاً، إنّ البوم كالكثير من الثقافات الهند والأروبية كان طائراً مباركاً لدى الإيرانيين القدامى في الدولة الساسانية، وكانوا ينسبونه إلى الآلهات المقدّسة (ايزدان) عادة كما كانوا يعتبرون رؤيته فاتحة للخير والتفاؤل باستثناء نوع واحد من أضخم هذه الطيور وهو بالفارسية يسمّى (بوف) أو (شاه بوم) الذي كان يصيد الطيور الصغيرة الأخرى؛ فلذلك كانوا يعتبرونه طائراً مشؤوماً في بلاد فارس القديمة نظراً لاصطياده الطيور الأخرى وازدياد شراسته (روياني، ٢٠١٢: ١٥٠)؛ ولكن البوم كان طيراً أهرمنياً شريراً لدى العرب الجاهليين عامة، بحيث لا تحمد عقباها أبداً وهو رسول الموت والبؤس والهلاك لديهم وكانوا يضربون به المثل في الدمار والهلاك والموت.

مع أن دخول الإسلام والعرب المسلمين في إيران القديمة ترك أعظم الآثار علميا وحضاريا وأخلاقيا ولكن امتزاج ثقافتهم بثقافة الفرس الساسانيين سبّب تفشي معتقدات العرب القدامى ومخزونهم الفكري والثقافي بين المدنيين الإيرانيين وسيما الشعراء والكتاب منهم؛ فبالتالي حلت أنواع من السلوكيات والتصرفات المتشائمة الجاهلية محل الرؤى الإيجابية الفارسية.

ثقافة التطيّر والتشاؤم وانعكاسهما في المجتمع العربي

التَطَير في اللغة: التشاؤم، وهو توقع حصول الشر. وقد سُمِّي تطيراً؛ لأنَّ العرب ـ ولا الفرس ـ كانُوا في الجاهلية إذا خرج أحدُهم لأمرٍ قصد عش طائر فيهيّجه، فإذا طار من اليمين تيمّن به ومضى في الأمر، ويسمونه: "السانح". أما إذا طار من اليسار فتشاءَمَ به، وكانوا يسمونه "البارح" (ملكاوي، ٢٠١٨: ٢٨).

ممّا يسترعي الانتباه أنّ دائرة التَّطَيُّر عند العرب في الجاهلية لكانت واسعة لا تكاد تنضبط بأشياء محددة لكثرة ما يتطيّرون به. وزعموا أن قبيلة لِهْبٍ هي التي كانت تخبرهم بِزَجْرِ الطير وفيهم يقول الشاعر:

www.SID.ir

Archive of SID

خَـبيرٌ بَنُـو لِهْـبٍ فَـلا تَـكُ مُلْغِيـًا مَقَالَـةَ لِهْـبيٍّ إذا الطَّيْـرُ مَـرَّتِ

(البغدادي، ١٩٩٧: ٥٤٧/٩)

أي: إنَّ بَنِي لِهْبٍ يعلمون زَجْرَ الطير وما تدل عليه تفاؤلاً وتشاؤمًا، فإذا أخبرك لِهْبيٌّ بشيء من ذلك فصدّقه ولا تُلْغِ قوله (الأنصاري، لا تا: ج١٨٦/١). وهذا من أوهام الجاهلية ووساوسها وقد أبطله الإسلام ونهى عنه.

يبدو جلياً أنّ المجتمع العربي في جاهليتهم الأولى كانوا يتطلبون معرفة الخير والشر من خلال حركات الطير أو الوحش وأصواتها وأسمائها وممرها، فيتفاءلون بأشياء منها ويتشاءمون بأشياء أخرى. هذا وقد ورد في التراث الأسطوري للعرب القدامى أنّهم كانوا يتشاءمون ويتطيرون بالبوم إذا نزل على دار أحدهم، قالوا: «نعي إليه نفسه أو بعض أهله» (الدميري، ١٤٢٤: ج٥١٠/٢)، حيث يقول الصلت بن أمية في هذا المضمون لأبنائه:

هَـامِي تخـبرُني بِمَـا تَستشـعرُوا فَتَجنبُـوا الشَـنعاءَ والمَكرُوهَـا

(المسعودي، ١٤٠٩: ٢/ ٧٦)

ممّا يجدر ذكره أن الإسلام لا يقرّ بالتطيّر والتشاؤم، بل إنّما كل الأقوال التي ذُكر فيها التشاؤم هي في الواقع نقل للشؤم من معناه الجاهلي إلى معنى إسلامي يربط الشؤم بفعل الإنسان كما قال تعالى: ﴿**وَكلّ إنسانٍ أَلزَمنَاهُ طائرهُ فِي عُنقِهِ**﴾ (الإسراء/١٣). ولهذا قالوا: ﴿**طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ**﴾ (يس/١٩) ولم يحك الله التطير إلا عن أعداء الرسل كما قالوا لرسلهم ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ إليمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ (يس/١٨-١٩) وتشاءم قوم صالح بصالح كما ورد في الآية ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِك وَبِمَنْ مَعَك**﴾ (النمل/٤٧) فرد عليهم نبي الله صالح عليه السلام فقال: ﴿**قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ...**﴾ يعني أن ما حلَّ بكم من شر وبلاء إنما هو بسبب كفركم وعنادكم واستكباركم، ولا يخرج عن قضاء الله وحكمته وعدله (معروف، ١٣٩٢: ١٣٦).

يتّضح أنّ الإسلام حارب هذه العقائد الباطلة وشبّه الطيّرة بالكفر والارتداد عن الإسلام وجعلها شركاً وقال الرسول ﷺ : «مَنْ رَجَعَتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». قالوا: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ : «أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ اللّهُمّ لَا خَيْرَ إِلّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَمْضِي لِحَاجَتِهِ» (النميري، ١٤٢٤: ج١٣٦/٢) وعنه ﷺ كذلك: «لَيْسَ مِنّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ» (الأبشيهي، ٢٠٠٨: ٣٥٧).

www.SID.ir

Archive of SID

وبالتوازي مع هذا رفض الإمام علي عليه السلام في «نهج البلاغة» (١٣٨٩: ٥١٩): الطِّيَرَة، قائلا: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَ الرُّقَي حَقٌّ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ، وَالْفَأْلُ حَقٌّ، وَالطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ...» كما أعلن رفضه الطِّيَرَة كذلك بقوله عليه السلام: «الْخِيَرَةُ فِي تَرْكِ الطِّيَرَةِ» (ابن ابى الحديد، ١٤٠٤: ج٧٣/١٠).

صورة البوم في الثقافة والأدب العربي

إن من يتصفّح دواوين الشعراء العرب ليجد أن العرب الجاهليين يدعون كائن البوم بأسماء وصفات عدّة، وهي: «بوم، بومَة، صَدي، فَيّاد، هام، هامَة، ضُوَع، أُمّ الخَراب، أُمّ الصّبيان، ويقال للبومة أيضا غراب الليل» (الدميري، ١٤٢٤: ج٢٢٦/١). قال الجاحظ في كتابه المعروف بـ*الحيوان* (١٩٦٩: ج٢٩٩/٢) عن أسماء وصفات البوم في العربية: «ويقال للطائر الذي يخرجُ من وَكره بالليل البومة والصَّدَى والهامة والضُّوَع والوَطواط والخُفَّاش، وغُراب اللَّيل».

وقد ذكر المسعودي (١٤٠٩: ج٧٣/٢) معلومات مفيدة في هذا المجال، قائلاً: «فمن العرب من زعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مات أو قتل لم ينزل مطيفاً به متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً، وفي ذلك قال أبو دُوَادَ الإيادي:

سلط الطَّيرُ والمنُونُ عليهم فَلَهُم في صَدَىَ المقابر هَامُ

(الإيادي، ٢٠١٠: ١٦٥)

فالمقصود من الهام، هو البوم؛ حيث اعتقد العرب «أنَّ هذا الطائر يسمونه (الهام) والواحدة (الهامة)، يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبداً تتوحش وتَصْدَع، وتوجد أبداً في الديار المعطلة والنواويس، وحيث مصارع القتلى وأجداث الموتى. ويزعمون أن الهامة لا تزال على ذلك عند ولد الميت في محلته بفنائهم، لتعلم ما يكون بعده فتخبره به» (المسعودي، ١٤٠٩: ج٢٣٠/١)، حتى قال الصلت بن أمية لبنيه في هذا المضمون:

هَامِي تخِّبرُني بمَا تَستَشعِرُوا فتَجَنبُوا الشَنعَاءَ وَالمَكرُوهَا

(المسعودي، ١٤٠٩: ج٢/ ٧٦)

وفي هذا المضمار يقول توبة بن الحُمير أحد عشاق العرب في ليلى الأخيلية:

وَلَوْ أنّ لَيْلَى الأَخْيَلِيّةَ سَلّمَتْ علَى وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ

صَفَائِحُ لَسَلّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أوْ زَقَا إليها صَدًى مِنْ جَانِبِ القَبْرِ صَائِحُ

(ليلي الإخيلية، لا تا: ٣٤)

www.SID.ir

Archive of SID

كانت العرب الجاهليون يعتقدون كذلك أنّ «روح القتيل الّذي لم يؤخذ بثأره، تصير هامة، فتَزْقُو أي تصيح عند قبره وتقول: اسقوني اسقوني من دم قاتلي فإذا أخذ بثأره طارت» (المسعودي، ١٤٠٩: ج٢/٥١٠) وفي ذلك يقول شاعرهم ذو الإصبع العدواني:

يَـا عَمْـرُو إِنْ لا تَـدَعْ شَـتْمِي وَمَنْقَصَـتِي ... أَضْـرِبْكَ حَتّـى تَقُـولَ الهَامَـةُ اسْـقُونِي

(ذوالإصبع العدواني، ١٩٧٣: ٩٢)

وقد أكّد على ذلك، لبيد بن ربيعة بن مالك العامريّ (٤١هـ/٦٦١م):

فَلَـيْسَ النَّـاسُ بَعْـدَك فِي نَفِيْـرٍ ... وَمَـا هُـمْ غَيْـرَ أَصْـدَاءٍ وهَـامِ

(لبيد بن ربيعة، لا تا: ٢٠٣)

وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل روحه تصير هامة، ويسمونها الصدى، وهو ذكَر البوم وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور (العسقلاني، ١٤٠٨: ١٠ /١٥٩ _ ٢٤١). وقولهم هذا يدل على أن الصدَى قد ينزل إلى قبورهم ويصعد ومن ذلك ما روي عن حاتم طيىء:

أتيـت لصـحبك تبغـي القـرى ... لـدى حُفْـر صـدحَتْ هامهـا

(المسعودي، ١٤٠٩: ١/٢٣٠)

وقد ذكر صاحب البدء والتأريخ أنّ أباالغموص سأل الرسول ﷺ في هذا المجال وأنشد:

أتخـبرُ يَـا الرَّسُـولُ بـأن سَـنَحيا ... وَكَيْـفَ حَيَـوةُ أَصْـدَاءٍ وهَـامِ

(الحموي، ١٤١٤: ١٤٤)

فأجابه ﷺ : «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ» ومن ثمّ كان يستسقون للأموات وأما الهند فظاهر فيهم القول برجوع أرواح موتاهم في صدورهم ويزعمون أنهم يكلمونهم ويسألون بهم وأما الفرس فأيام الفروردجان عندهم أيام رجوع الأرواح فيهيئون ألوان الطعام ويبخرون المباذل بالطيب ويفرشون الرياحين ويقولون هم لا يصيبون من الطعام إلا الرائحة (المقدسي، لاتا: ج٢/١١٩؛ المزي، ١٤١٤: ج٣/٣٦١).

إنّ من يمعن النظر في مخزون العرب الفكري والثقافي فيدرك بأنها إذا أرادت الْمُضِيَّ لِمُهِمٍّ ـ كسفر أو حرب ـ مرت بِمَجَاثِمِ الطير ـ أو الظباء ـ فزجرتها وأثارتها لتستفيد هل تمضي أو ترجع، فإن سَنَحَتْ ـ أي مرت عن جهة يمين السائر ـ تفاءل ومضى، وإن بَرَحَتْ ـ

www.SID.ir

Archive of SID

أي مرت عن جهة يسار السائر ـ تشاءم ورجع (المسعودي، ١٤٠٩: ج٢٣٣/١). إن هذه الظاهرة الموهومة الخرافية قد انعكست في أدب الجاهليين من ذاك الزمن فصاعدا، وأكثر الشعراء والأدباء الجاهليون من التشاؤم بالبوم. ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي الشهير، كثَير عَزَّة:

أقُولُ إذا مَا الطَّيرُ مرَّتْ مُخيفةً ... سَوَانحُها تَجْري وَلَا أستَثِيرُها
فَدتْكَ ـ ابنَ لَيلى ـ نَاقَتِي حَدثَ الرَّدَى ... وَرَاكِبُهَا إنْ كَانَ كونٌ وكُورُهَا

(كثَيِّر عَزَّة، ١٩٧١: ٣١٦)

لا تزال هذه العقيدة الجاهلية استمرّت بعد مجيء الإسلام ودخوله إلى إيران القديمة، نخصّ منها بالذكر: أنّ في زمن الأمويين عندما هجم مروان على قبيلة قيس وألحق الهزيمة بهم، أنشد عمر بن الجلي الكلبي عن الحارث بن القيسي:

بكى زفر القيسي من هلاك قومه ... بعبرة عين ما يجف سجومها
يبكي على قتلى أصيبت براهط ... تجاوبه هام القفار وبومها
أبحنا حمى للحي قيس براهط ... وولت شلالا واستبيح حريمها
يبكيهم حران تجري دموعه ... يرجي نزارا أن تثوب حلومها
فمت كمدا أو عش ذليلا مهضما ... بحسرة نفس لا تنام همومها

(الطبري، ١٣٨٧: ٤١٩/٤)

إنّ التطيرُ بالبوم وصفاته التي ذكرت نماذج ومظاهر منه آنفاً، كان موجوداً عند العرب فيما بعد، فلا يزال هذا التشاؤم كان مسيطراً على عقولها وبات حاداً في فترة من الزمن، بحيث عندما هجم القائد المغولي، أرسلان البساسيري على مدينة البغداد، وشاهد الناس عشرة أبوام يصرخن في كلّ ليلة فوق دار الخلافة، طلبوا من الخليفة القائم بالله حتى يترك البغداد، لأنهم كانوا يتشاءمون بصرخة البوم ورؤيته (نقلاً عن روياني، ٢٠١٢: ١٥١) ويظنون أن نياح الأبوام وصرختها فوق دار الخلافة بإمكانها أن تنتج أمرَّ الحوادث وأصعبَها وهو الموت والهلاك.

صورة البوم في الأدب الفارسي

خلافا لما سبق في ثقافة الإيرانيين القدامى ورؤيتهم التفاؤلية لطائر البوم، إنّ العرب لقد اعتبرت البوم طائراً مشؤوماً بصورة عامّة ومطلقة (المسعودي، ١٤٠٩: ١٣٣/٢). وهذه النظرة التشاؤمية للبوم تسرَّبت شيئاً فشيئاً إلى الفارسية. فمن هذا المنطلق، عندما نتأمل مضامين

www.SID.ir

Archive of SID

الأعمال الأدبية لعظماء الأدب الفارسي في كلامهم المنظوم والمنثور، لا نجد أيّ أثر من ذاك التقدس الزرادشتي للبوم في إيران القديمة إذ لم يبقَ شيء من أسمائه وصفاته المباركة والمقدسة لدى الإيرانيين القدماء كـ"اشوزُشْت" و"مرغ بهمن" وغيرها. وعلى الرغم من أن البوم من الطيور التي تكرر اسمه في الأدب الفارسي ونحن نواجه أسماءه الكثيرة في داووين الشعراء الإيرانيين، ولكن يتّضح جلياً بأنّه افتقد وجهه الإيجابي الذي كان سائداً في إيران القديمة (دولة الساسانيين) فنحن لم نعد نرى تلك الروح التفاؤلية الّتي كانت من المفترض أن تتواجد لدى الأدباء الإيرانيين إلا في بعض الحالات النادرة جدّاً وكثيراً ما نواجه صورة سلبية لوجه البوم. إنّ أحد أهمّ صفات البوم وميزاته عند العرب، هو شؤمه الذي قد تكرر بطرق مختلفة ومتنوعة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين وفيما بعده إلى عصرنا الحاضر في الأدب الفارسي، متأثراً بالعرب الجاهليين.

بإمكاننا أن نقول إنّ شعراء الفارسية لقد تشاءموا بالبوم تشاؤماً بالغاً فتناولوه من جوانب مختلفة ومتنوعة، متأثرين بالثقافة العربية الجاهلية، نقوم بتبيين تداعيّاتها المختلفة، بادئين بإقامة البوم في الأماكن الخربة:

إقامة البوم في الأماكن الخربة المهجورة:

أحد أبرز ميزات البوم إقامته في المنازل الخربة المهجورة التي تكررت في النصوص الأدبية والشعبية. هذه الصفة العامة المتفشية للبوم، لقد انعكست في نصوص إيران القديمة ولكن الفرس الساسانيين لم ينظر إليه من هذا المنظار السلبي الذي نراه في الثقافة العربية الجاهلية بل أنّهم يحتجّون بأن إقامته هناك في الأماكن الخربة قد كانت بسبب مطاردته للشياطين والموجودات الأهرمنية عن الصحاري والدفاع عن حقوق الإنسان. يجدر بالذكر أنّ الصحراء قبل الإسلام، قد اتّسمت بالعديد من الدلالات حسب القصص الواردة في الكتب المقدسة. فقد اتخذت صورة الفضاء الملعون حيث يعيش فيها الشيطان، "عزازيل"[1] كما تذكره النسخة السريانية للكتاب المقدس؛ وكان قدماء العبريون والكنعانيون يعتقدون أنّ الصحراء مثوى عزازيل، شيطان الأراضي الجدباء (عثمان بلميلود، ٢٠٠٣: ٥٨). إذن فإقامة البوم في الصحراء، وفقاً لما ورد في المصادر الفارسية البهلوية، كانت لأجل مطاردته للشياطين. على أية

1. Azazel

www.SID.ir

Archive of SID

الحال، لم يعد يلحظ في الأدب الفارسي الراهن تلك الروح التفاؤلية التي كانت سائدة تجاه البوم في أيام الإمبراطورية الساسانية. بل نرى أنّ غالبية الشعراء الفرس القدامى والمعاصرين قد تطرقوا إلى نحوسة هذا الطائر وإقامته في المنازل الخربة متأثرين بالعرب الجاهليين ومعتقداتهم الفكرية والثقافية. على سبيل المثال، جاء في ديوان سنائي الغزنوي:

باز را دست ملوك از همت عالى است جاي جغد را بوم خراب از طبع دون شد مستكن

(سنايي، ١٣٦٥: ٥٢٩)

(الترجمة: احتلّت الصقور مكانة عاليةً على أيدي الملوك بسبب قوتها وأنانيتها، ولكن البوم قد سكن في منازل خربة بسبب طبيعته السافلة)

نلاحظ أن إقامة البوم في الخرابة تربط بطبيعته الدنيئة، وفقا لما أكّد عليه الشاعر الإيراني، سنايي الغزنوي.

يستوضح الكثير من النصوص الأدبية الفارسية أنّ إقامة البوم في الخرابة نسبت إلى رعاية البوم وحمايته من أعظم الكنوز وأثمنها مكنونة في جوف تلك المنازل المهجورة الخربة؛ ومنها ما ذكره أستاذ الشعر الفارسي المثنوي الرومانتيكي، نظامي الكنجوي في هذا المضمون، قائلا:

جغد كه شوم است به افسانه در بلبل گنج است به ويرانه در

(نظامي، ١٣٦٣: ٥١)

(الترجمة: إنّ البوم الذي هو شرير ومنحوس في الأسطورة، أصبح عندليب الكنز في الأراضي الخربة والمدمرة)

وفقاً لما جاء في منظومة منطق الطير للشاعر الإيراني، العطار النيسابوري، أحد أهم الطيور التي امتنعت عن الذهاب إلى العنقاء (سيمرغ) تحمل اسم «كوف» وهو من أسماء البوم في الفارسية. من هذا المنطلق، من يتصفح ديوان العطار يجد كلاما دقيقا عن البوم وهو أنّ الشاعر يذكر أنّ حبّ البوم للخزائن الخفية في جدران المنازل الخربة مانع رئيسيّ في طريق ذهابه إلى العنقاء والوصول إليها، قائلاً:

١. در خرابي جاي مي سازم به رنج زانك باشد در خرابي جاي گنج

٢. عشق گنجم در خرابي ره نمود سوي گنجم جز خرابي ره نبود

(عطار نيشابوري، ١٣٧٣: ٦٤)

www.SID.ir

Archive of SID

(الترجمة: ١. أنا أبني منزلي في المنازل الخربة مع معاناة كثيرة؛ لأنّ هناك كنوز مدفونة تحت الخرابة والأماكن المنعدمة. ٢. حبّي للكنز دفعني إلى الخراب؛ فلم يكن لدى أي طريق للوصول إلى الكنز سوى مرور بالمنازل الخربة)

إنّ ما يستعرضه هذا البيت هو أنّ طائر البوم يعتبر رمزاً لأناس يطلبون الحياة الدنيا المادية في هذه القصة الروائية، حيث يمنعهم حبّ الدنيا من الحركة والاستنهاض إلى الله تعالى.

وأيضاً من كلام الشعراء الفرس الّذي ذُكِر في مضمار التشاؤم بالبوم وإقامته في الأماكن الخربة والأرياف النائية الغير مأهولة بالسكان هو كلام حبّ وغزل للحبيب الروحاني في القصيدة المعنونة بـ: «نگارا مردگان از جان چه دانند؟» للشاعر جلال الدين محمد البلخي الشهير بالمولوي، حيث يشبه فيه الغرباء بالأبوام التي اعتبرها الشاعر رموزاً لمحبي الدّنيا المادية، مخاطبا حبيبه بأوصاف روحانية صافية أضفت على شعره سمة من قداسة لا نظير لها، حيث يقول:

١. نگارا مردگان از جان چه دانند — كلاغان قدر تابستان چه دانند
٢. بر بيگانگان تا چند باشي — بيا جان قدر تو ايشان چه دانند
٣. بپوشان قد خوبت را از ايشان — كه كوران سرو در بستان چه دانند
٤. بهل ويرانه بر جغدان منكر — كه جغدان شهر آبادان چه دانند
٥. چه دانند ملك دل را تن پرستان — گدايان طبع سلطانان چه دانند

(مولوي، ١٣٧٠: ١/٢٨٤)

(الترجمة: ١. حبيبي الجميل! إنّ الموتى لا يدركون معنى الروح والحياة، شأنهم شأن الغربان التي لا تعرف قيمة الصيف. ٢. لماذا تقيم بين الأجانب، تعال روحي! إنهم لا يدرون مقامك وشأنك. ٣. أُستر قامتك الجميلة منهم؛ إذ إنّ العميان غير بصيرين بقيمة شجرة الصنوبر في البستان. ٤. اترك المنازل الخربة للأبوام لأنها لا تعرف قيمة المدن المعمورة. ٥. إنّ الخاضعين لهواهم وميولهم النفسانية كيف يتمكنون من فهم سر قلوب العارفين كما أنّ الفقراء غير مدركين كنه أحوال السلاطين).

من الملاحظ أنّ الشاعر يستعطف حبيبه ويستدعيه أن يحلّ بأرض قلبه المعمورة؛ إذ يرى أنّه الشخص الوحيد الذي يعرف قدر محبوبه وشأنه العظيم؛ ولكن الغرباء والأموات الذين شبههم الشاعر بالأبوام العمياء، لا يدركون منزلة الحبيب وشأنه. يمكن القول إنّ الأبوام ههنا تعتبر رمزاً لمحبّي الدّنيا والّذين حبسوا أنفسهم في إطار هذه الدنيا المادية حيث لا

www.SID.ir

Archive of SID

يعرفون قيمة الحياة الروحانية والأسرار الإلهية.

بالتوازي مع هذا المضمون لقد أنشد صائب التبريزي (١٠٠٠-١٠٨٠ الهجري) في غزله العرفاني المرقم بالرقم: «٢٦٣٤» قصيدة شكا فيها من حلول الروح السماوية في ضيقة الجسد مشبها إياها بالطائر الموضوع في القفص الذي لا خلاص له منه إلا بالخروج عن هذا القفص ومن ثمّ التحليق في سماء الحرية، قائلاً:

١. روح را در تنگنای جسم کی شادی بود؟ مرغ دام افتاده را شادی در آزادی بود
٢. راحت منزل نگردد سنگ راهش همچو سیل شوق هر کس را که در راه طلب هادی بود...
٣. فکر عقبی نیست صائب در دل دنیاپرست جغد را ویران گواراتر زآبادی بود

(صائب تبريزي، ١٣٨٧: ٢٣٤)

(الترجمة: متى تفرح الروح في إطار هذا الجسم؟ إنّ الروح تشبه الدجاجة العالقة في أحبولة الصياد والتي لا يسرّها شيء إلا الخروج منها ونيل الحرية. ٢. إنّ من لديه شغف الوصل بالهادي الأعلى لايستقر في مكانه بل يتنقل من مكان إلى آخر كالحجر الذي وقع في مسار السيل والفيضان. ٣. يا صائب، إنّ الإنسان الذي انغمس في الشؤون الدنيوية التافهة لا يفكر في عقباه كما أنّ بقايا الخراب والدمار عند البوم ألذّ وأحلى من العمران والمدنية).

يتّضح أنّ الشاعر ههنا شبه نفسه بالذين يحاولون اللحاق بمحبوبهم العزليّ والحقيقيّ بسلوكياتهم العرفانيّة؛ إلى حيث يشبه طالبي الدنيا بالأبوام التي تحلو عندها المنازل الخربة المهجورة التي لا يرتادها الإنسان. يبدو جليا أنّ الشاعر يقصد بهذا التشبيه إظهار تشاؤمه من الأبوام والذين يتوخون الحياة الدنيوية.

وقد ذكر نورالدين عبدالرحمن جامي في كتابه المسمى بـ«هفت اورنگ» عدالة «كسرى انوشروان الفارسي» مادحا عمران دولته التي باتت رمزا للازدهار المدني والرقي الحضاري؛ إلى حيث تشكو الأبوام من انعدام الخرائب أو الأطلال أو الأحياء الموحشة المخيفة المرعبة في أرجاء بلاده للسكن والاقامة فيها، قائلا:

١. که ز معماری عدلت به جهان نیست ویرانه نه پیدا نه نهان
٢. خشت بر خشت زمین معمور است از وی آثار خرابی دور است
٣. جغد در کشور تو هست به رنج که خرابی شده ناياب چو گنج

(جامي، ١٣٨٥: ١١٣)

www.SID.ir

Archive of SID

(الترجمة: ١. لا يوجد أي أنقاض وأطلال جليّة كانت أم خفيّة في العالم بسبب عدالتك المنتشرة. ٢. باتت أرض بلدك معمورة راقية كلها وبعدت آثار الدمار عن بلدك كل البعد. ٣. تعاني الأبوام في بلدك من فقدان الدمار؛ إذ لا أثر للأطلال والأماكن الخربة؛ فأصبحت هذه البيوت الخربة في بلدك نادرة كالكنوز الدفينة في الأرض ولا يمكن العثور عليها بسهولة).

لا يفوتنا هنا أن نذكر أنه رغم ما يرسمه الشعراء والأدباء في كلٍّ من الأدبين: الفارسيّ والعربي من صور التشاؤم بالبوم؛ فإنّ النبيّ سليمان (ع) يعتبر البومَ أنصحَ الطّيور بأسرها لابن آدمَ إذ إنّه يشفقَ عليه رغم أنّه يسكن في البيوت الخَرِبة المهجورة التي لا إنس فيها، حيث يقول (ع): «ليس في الطّيور طير أنصح لابن آدمَ ولا أشفق عليه من الهامة وما في قلوب الجهال أبغض منها» (الدميري، ١٤٢٤: ٥١١/٢).

شؤمه ونحوسته:

إنّ موضوع التشاؤم بالبوم لم يكن موجوداً وشائعاً في إيران القديمة في الغالب الأعمّ ولكن قد ألقى ظلّه على الأدب الفارسي متأثراً بثقافة العرب الجاهليين منذ سقوط دولة الأكاسرة الساسانيين، بحيث ظهرت تداعيات هذا التشاؤم ومظاهره في الأدب الفارسي بأساليب مختلفة ومتنوعة، فتركت نتائج سلبية على الشعراء الفرس القدامى والمعاصرين، والدارس للأدب الفارسي يعرف مدى تأثّر شعراء الفرس العظام كالمولوي، وسعدي الشيرازي، والفردوسي، وناصرخسرو وغيرهم بالثقافة العربية في مجال التشاؤم بالبوم. فعندما نمعن مثلاً في ديوان المولوي المسمّي بِـ*ديوان الشمس التبريزي* ندرك بأنّه يعرِّف البوم رمزاً للتشاؤم والتطيّر محتجاً بأنّ ممدوحه يشبه البوم في شؤمه ونحوسته؛ لأنّه لو لم يكن هذا الممدوح نحساً وشؤماً كالبوم لكانت تتساقط الأمطار من السماء لأهالى المدينة:

نم نبارد ابر از شومي او شهر شد ويرانه از بومي او

(مولوي، ١٣٧٠: ٧١٩)

(الترجمة: لا تمطر السماء قطرة ماءٍ بسبب شؤمه؛ لقد انهارتِ المدينة من بوميّتِهِ أي نحوسته).

جدير بالذكر والتنويه أنّ الكثير من الشعراء والكُتاب يشبّهون الكوارث والأعمال السيئة في تشاؤمهم منها بالأبوام وهذه المقارنة تؤدي إلى انتقال رؤيتهم التشاؤمية للبوم إلى المتلقّي ويؤثّر عليه تأثيراً سلبياً في الغالب الأعمّ.

في المضمار نفسه، يتحدّث صائب التبريزي عن البوم في شعره ويسمّيه طائراً مشؤوماً حل ببيت قلبه المهدم، قائلا:

www.SID.ir

Archive of SID

دل نازك به زبان بازی مژگان چه کند؟ سپر آبله با خار مغیلان چه کند؟
بیش ازین با من سودازده دوران چه کند؟ شومی جغد به این خانه ویران چه کند؟

(صائب تبريزي، ١٣٨٧: ٣٣٤)

(الترجمة: ماذا بوسع القلب الرقيق أمام مداهنة الرموش؟، وماذا يستطيع أن تفعل أدران الجدرى تجاه أشواك شجرة مغيلان؟. ماذا سيفعل بي الدهر أكثر من هذا؟، وما مدى تأثير نحوسة البوم في هذا البيت المدمر؟).

محمد تقي بهار المشهور بملك الشعراء وشاعر الحرية والوطن (١٢٦٥ش)، كذلك يتشاءم بالبوم ويعتقد بأن الأبوام لا تستحق الإقامة في البستان معتبراً إيّاها رموزاً للاحتيال والخدعة والخطأ، ويذهب بعيداً ويرمز بها إلى فئة سياسية مسمّاة بـ«رابطة همت» وهي تيار سياسي واجتماعي أعلنت هدفها الحماية عن حقوق الإنسان واستكمال قواعد الخدمة والعبودية، منتقدا إياهم لتصرفاتهم السياسية المزورة التي جلبت الذلة والمهانة للبلاد، قائلاً:

١. انجمن کردهاند زاغ وزعن باز بر شاخسار حیله وفن
٢. شد زیبغوله بوم جانب باغ شد ز ویرانه جغد سوی چمن
٣. زان چمن کاشیان جغدان شد به که بلبل برون برد مسکن

(بهار، ١٣٧٨: ٢٢٦)

(الترجمة: ١. اجتمع الغراب والغداف مرة أخرى على أغصان شجرة الحيلة والخدعة. ٢. خرج البوم من زاوية البيوت المدمرة إلى الحديقة وتوجه من الأطلال نحو الحشيش الأخضر . ٣. من الأفضل للعندليب أن يخرج من ذاك العشب الأخضر لما استوطن البوم فيه).

لقد ذكر سنائي الغزنوي كذلك كائن البوم في الباب الثامن من كتابه المعنون بـ"حديقة الحقيقه وشريعة الطريقه" وتشاءم منه واصفا نحوسته وحسادته وقلة تدبيره، قائلا:

١. در مشورت نیافت کس مقصود از دو بی اصل سست راي و حسود
٢. زانکه در ملك از این دو ناهشیار کرگس و جغد را برآید کار...
٣. پیشکار ملوك بی تدبیر جغد باشد میان خلق خفیر

(سنايي، ١٣٦٨: ٥٧٩)

(ترجمه: ١. لم يصل أحد إلى غرضه المنشود عندما استشار هذين الحسودين الذين لم ينحدرا من أصل شريف. ٢. هناك في بلاد هذين الحمقى بإمكان البوم والنسر أن يقوما بأمور

www.SID.ir

Archive of SID

بلادهما عوضاً عنهما. ٣. كأنّ خادم هؤلاء الملوك العديمي الخبرة والحنكة في إدارة البلاد بومٌ خائفٌ في حشد خفير من الناس).

ينتقد الشاعر من قلة الكفاءات اللازمة لهذين الملكين في إدارتهما للدولة والمجتمع ويؤكد على أن تولي الحكومة والإشراف عليها بحاجة ماسة إلى العلم والعقل والبصيرة؛ ولكن الملك ووزيره الحسودين غير متمتعين بالعقل والبصيرة، فمن هذا المنطلق، نراه في قصيدته يشبههما بالأبوام والنسور لسوء تدبيرهما في إدارة أقاليم البلاد والقيام بأمور الدولة.

هناك في النصوص الأدبيّة ذات النزعة القصصية كتابان هامان اختصت أجزاء وفصول منهما بدراسة كائن البوم وصفاته الخاصّة، أحدهما كتاب *مرزبان‌نامه* الذي تحدّث عن طائر البوم في بعض فصوله. منها ما ورد في قصة "آزادتشهر والعقاب"، حيث ذكر الكاتب البوم واعتبره طائراً مشؤوماً (وراويني، ١٣٦٦: ٣٩٥ و٧١٥).

الكتاب الآخر هو *الكليلة والدمنة* الذي توجد فيه لمحات من ثقافة إيران القديمة، واختصّ المؤلف فيه باباً تحت عنوان: «الأبوم والغربان». وقد أظهرت هذه القصة الشهيرة أن الغربان أكثر ذكاءً من البوم؛ بحيث رويت فيها أنّ الطيور انتخبت البوم كمرشد وقائد لأنفسها في الغابة ولكنّ الغراب لوحده يخالفها في هذا الرأي والانتخاب، محتجّاً بأن طائر البوم أقبح الطيور منظراً، وأسوأها خلقاً، وأقلّها عقلاً، وأشدها غضباً وأبعدها من كلّ رحمة مع عميه وما به من العشا بالنهار (ابن المقفع، ١٣٥٥: ج١/٢٠٦).

شكل البوم وصوته المزعج والحزين:

لقد جاء في معظم "المعاجم اللغوية" أن البوم طائر يكثر ظهوره بالليّل ويسكن الخراب، ويضرب به المثل في الشؤم وقبح الصورة والصوت. فلم تر العرب في البوم إلا رمزاً للخراب ونذيراً بالشؤم، فهم لم ينظروا لأبعد ممّا يظهر لهم. فهذا كائن ليلي، وحشي الطبع، يصدر أصواتاً مخيفة، فإنه بالتالى رمز لشرارة والنكبة. يذكر شهاب الدين الأبشيهي في كتابه «*المستطرف في كل فن مستظرف*» (الأبشيهي، ٢٠٠٨: ٢٢٧) ما يلي: «بومة: وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه... ونقل المسعودي عن الجاحظ: أن البومة لا تخرج بالنهار خوفاً من العين، لأنها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحبّ الخلوة بنفسها».

لقد ورد في الثقافة العربية البوم رمزاً للخراب والهلاك والموت بصورة مطلقة؛ لأنه يميل من ناحية إلى الصمت ومن ناحية أخرى إلى التواجد في الأماكن المهجورة بصوته المزعج

www.SID.ir

Archive of SID

والحزين. فمن هذا المنطلق، ألقى هذا التشاؤم أضواءه على الشعراء الفرس كذلك. ومن هذا التشاؤم المأخوذ من العرب ما نراه عند الشاعر الإيراني خاقاني الشرواني (٥٩٥-٥٢٠هـ)، وهو الشاعر الذي تأثر كثيرا بثقافة العرب، لعلاقته الوثيقة بثقافتها وأفكارها. فمن هنا نجد أنّ التشاؤم بالبوم وصوته الباكي لقد ورد في أشعاره بأشكال مختلفة. ويتضح جلياً هذه الرؤية التشاؤمية الغالبة تجاه كائن البوم لديه، عندما يصف إيوان المدائن (بالفارسية: ايوان خسرو) كما يعرف محلياً، هو الأثر الباقي من أحد قصور كسرى آنوشروان، حيث يقول:

چون مرا طوطي جان از قفس كام پريد　　نوحه جغد كنيد ارچه همانيد همه

(خاقاني، ١٣٧٥: ٥٧٠)

(الترجمة: لما متُّ والتحقت إلى رفيقي الأعلى، ابكو لي بكاءَ البوم وإن كنتم ذوي الفأل الحسن).

من الملاحظ أنّ صورة البوم وهيئته تختلف تماماً عن بقية الطّيور وقد أصبح هذا الطير بمواصفاتها العجيبة ذريعة للتشاؤم والتطيّر منذ العصور الغابرة، لا يمكن تعريف جذورها بالضبط خلال الموروث الثقافيّ والنفسيّ لدى عامة الناس الّتي تتشائم من مظهر البوم ولاسيّما بمنقاره. هذه الأفكار المقتبسة الموهومة انعكست في الأدب الفارسيّ، حيث نلاحظ أكثر الشعراء والأدباء الإيرانيين يأنفون من صورة البوم. فمن هذا المنطلق، نرى الشاعرة المعاصرة الإيرانيّة، بروين اعتصامي (١٢٨٥-١٣٢٠) قد وصفت البومَ بأنّه قبيح المنظر والشكل، قائلة:

١. زاغي بطرف باغ، به طاووس طعنه زد　　كاين مرغ زشت‌روي، چه خودخواه وخودنماست

٢. نوكش، چون نوك بوم سيه كار، منحني است　　پشت سرش برآمده وگردنش دوتاست

(اعتصامي، ١٣٨٥: ٢٤٢)

(الترجمة: ١. تهكم غرابٌ بالطاووس في زاوية من الحديقة، قائلاً: هذا الطير القبيح الوجه، ما أشدَّ أنانيّتَه وعَنجهيّته. ٢. هناك انحناءٌ في منقاره كمنقار البوم السوداويّ العمل، محدودبٌ رأسُه مُنْحَنٍ عنقُهُ).

وفي موضع آخر، قد ركّزت الشاعرة نفسها مرة أخرى على صرخة البوم المزعجة وتشاءمت منها، إلى حيث تقول:

خوش است نغمه مرغي به ساحت چمني　　ولي نه بوم سيه روز، مرغكي خوشخوان

(اعتصامي، ١٣٨٥: ١٣٥)

(الترجمة: ما ألّذ صوت طيرٍ غير البوم السوداوي اليوم على الحشيش الأخضر).

www.SID.ir

Archive of SID

وبالتوازي مع هذا المعنى، يقول ميرزا محمّد تقي بهار، الشهير بِـ"ملك الشعراء" (١٢٦٣ش) في قصيدة يسميها بـ"بوم الحرب"، ناشدا:

١. فغان ز جغد جنگ ومُرغواي او — كه تا ابد بريده باد ناي او

٢. بريده باد ناي او و تا ابد — گسسته و شكسته پر و پاي او

(بهار، ١٣٧٨ش: ٢١٤)

(الترجمة: الويل من بوم الحرب وتشاؤمه، قطع الله حنجرته إلى الأبد. ٢. إلى الأبد قطع الله حنجرته، أتمنى أن ينفصل ريشه وينكسر قدماه).

إنّ "ملك الشعراء" الّذي اشتهر في ثقافة الفرس بشاعر الحريّة والوطن، شبّه الحرب وتداعياتها السلبية من تخريب المدن والقتل والهلاك بالبوم واحتجّ بأنّ الحرب تخلّف آثارا مشئومة؛ فلذلك استعار الشاعر المستعار منه بوماً في هذا التشبيه ليؤكد على مدى تشاؤمه من البوم ولاسيما صوته المزعج.

صورة البوم في الأمثال الأدبيّة والشعبية:

تعدّ الأمثال من الأشكال الأدبية الّتى تعبّر عن الواقع تعبيرا صادقا؛ لأنها تعدّ نتاج فكر وأحداث وتجارب للحياة اليومية، ولعلّ من أهمّ السمات الّتى تتسم بها الأمثال صفة الذيوع والسيرورة، وهذا الأمر بات من الأسباب الرئيسة الّتي ساعدت تفشي التشاؤم بالبوم بين الشعراء الفرس وكتابهم. ومن الملفت للنظر أنّ الأمثال العربية التي تدلّ على التشاؤم بالبوم في مصادر الأدب المختلفة، كثيرة. منها ما أورده الثعالبي في كتابه "ثمار *القلوب*"، قائلاً: "إنّ البوم يُضرَب به المثل في الشؤم والنكد واللؤم (١٩٨٣: ١/١٠٤)؛ لأنّه يأوي الخراب ولا يأنس بأشكاله من ذوات الأجنحة. ومنها ما ورد في الأمثال الشعبية: «لو كان في البومة خير ما تركها الصياد» (طه، ١٩٩٩: ١٤٢-١٤١). وكذلك منها قولٌ لابن الجوزي في الفصل الخامس والثمانين من كتابه *المدهش*، قائلاً: «من كان دليله البوم كان مأواه الخراب» (١٩٨٥: ج١/٤٧١)؛ ويضرب هذا المثل لمن يقتدي بالمشؤوم الفاسد الرأي، وهو مثل قديم أورده الراغب الإصفهاني كذلك في *محاضراته*، بمعناه الحرفي: «من كان دليله البوم كان مأواه الخراب» (١٤٢٠: ج٢/٧٥٤). إنّ الأمثال المذكورة تقرر أن القائد الجاهل والدليل الغبيّ يؤديان بمن يتبعهما إلى مزالق خاطئة ودروب غامضة. وهي بذلك إنما تدعو بشكل غير مباشر إلى ضرورة عدم ترك الأمور بأيدي قائد غير قدير (الفؤادي، لا تا: ٤٣).

www.SID.ir

Archive of SID

وفي هذا المعنى، ذكر الشاعر الفارسي الحكيم ناصر خسرو القبادياني، ما يشابه هذا المثل العربي في اللغة الفارسيّة، حيث قال:

هر آن كس كه باشد راهبر بوم نبيند جز كه ويراني بر و بوم

(القبادياني، ١٣٧٨: ٤٥٩)

(الترجمة: من كان دليله البوم لا يواجه سوى الدمار وتدمير الوطن).

منها ما جاء في ديوان نظامي كنجوي، حيث أصبح الشطر الثاني من بيته مثلاً سائراً بين الإيرانيين:

همان به كو در آن وادي نشيند كه جغد آن به كه آبادي نبيند

(نظامي، ١٣٩٠: ١٢٠)

(الترجمة: يجدر بالبوم أن يهبط في ذلك الوادي النائي؛ لأنه من الأفضل له ألا يرى العمران).

وفقا لما قيل، عندما نقارن بين الأمثال الفارسية والعربية نستنتج أن الشعراء الفرس لقد ذكروا ما يشابه الأمثال الأدبيّة العربية في المعنى والمضمون في مجال التشاؤم بالبوم واستعملوه في أشعارهم مراراً.

النتائج

لقد تمخّض هذا المقال عن نتائج أهمّها كالتالي:

١. إنّ البوم قد كانَ طائراً ميموناً ومباركاً لدى الإيرانيين القدامى، بحيث كانوا ينسبونه إلى الإيزدان والآلهات المقدّسة، ونسبوا إقامته في الأماكن الخربة إلى طرده للشياطين والأجنة وإبعادها عن هذه الأمكنة والمنازل. إنهم كانوا يتفاءلون برؤيته ويعتبرون هذه الرؤية فاتحة للخير والصواب اللهم إلا نوعاً واحداً منه، وهو أكبر الأبوام كلّها يسمّى بالفارسية: "بوف" أو "شاه بوم".

٢. إن العرب كانت تعتبر البوم بجميع أنواعه مشؤوماً بصورة عامة ومطلقة؛ إذ رأت في ميل هذا الطائر للانعزال وإقامته في المنازل الخربة توحشاً، كما رأت في مظهره ما يدعوا للخوف وللشؤم؛ فاستخدمته رمزاً للموت والخراب والهلاك مطلقاً.

٣. إنّ التشاؤم بالبوم بات أحد الصور الشعرية في الأدب الفارسيّ بعد سقوط الدولة الساسانية، وذلك إثر إمتزاجه بالثقافة العربية، بحيث افتقد وجهه الإيجابي وروحه

www.SID.ir

Archive of SID

التفاؤلية في الأدب الفارسيّ، ولم يبقَ شيء من أسمائه وصفاته المباركة والمقدسة التي كانت موجودة لدى الإيرانيين القدماء كـ"اشوزُشْت" و"مرغ بهمن" وغيرها. بل كثيراً ما نواجه صورة سلبية لوجه البوم تماماً.

٤. من خلال تصفح دواوين الشعراء الفرس ندرك ارتباطاً وثيقاً بين البوم والموت، والهلاك، وسماع الأخبار السيئة. وقد عبر الشعراء في قصائدهم عن تشاؤمهم بهذا الطائر وعن كرههم له، ولصوته، ولهيئته.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأبشيهي، شهاب الدين (٢٠٠٨م). المستطرف من كل فن مستظرف. شرحها وحققها مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن أبي الحديد. *نهج البلاغة*. ترجمه محمد دشتي، قم: مؤسسة بوستان كتاب.

٣. ابن ابى الحديد (١٤٠٤هـ). *شرح نهج البلاغه*، قم: مكتبة المرعشى النجفى.

٤. ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين (١٩٨٥م). *المدهش*. تحقيق مروان قباني، بيروت: دار الكتب العلميّة.

٥. اعتصامي، پروين (١٣٨٥ش). *ديوان*. تبريز: انتشارات آيدين.

٦. الأنصاري، جمال الدين عبدالله (لا تا). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، مصر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧. الإيادي، أبي دواد (٢٠١٠م). *الديوان*. تجميع وتحقيق: أنوار محمود الصالحي؛ وأحمد هاشم السامرائي، دمشق: دار العصماء.

٨. البطاوي، رضا (٢٠٠٨م). التفاؤل والتشاؤم في الإسلام. *مجلة الفرقان*: https://www.al-forqan.net/members-articles/235.html.

٩. البغدادي، عبدالقادر بن عمر (١٩٩٧م). *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، عدد الأجزاء: ١٣.

١٠. بلميلود، عثمان (٢٠٠٣م). *صورة الصحراء العربية في المخيال قبل ظهور الإسلام*. مجلة انسانيات، العدد ٢١، سبتمبر، صص٥٥-٦٢.

١١. بهار، محمّد تقي (١٣٧٨ش). *مرغ سحر (منتخب اشعار)*. تهران: سخن.

١٢. الثعالبي، أبومنصور (١٩٨٣م). *يتيمة الدهر*. تحقيق مفيد محمّد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. الجاحظ، عمر بن بحر (١٩٦٩م). *الحيوان*. تحقيق عبد السلام محمّد هارون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٤. جامي، نورالدين عبدالرحمان بن احمد (١٣٨٥ش). *مثنوي هفت اورنگ*، به تصحيح و مقدمه مرتضى مدرس گيلاني، طهران: اهورا.

١٥. الحموي، ياقوت (١٤١٤هـ). *معجم الأدباء*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

www.SID.ir

Archive of SID

١٦. خاقاني شرواني، افضل الدين بديل بن علي (١٣٧٥ش). *ديوان*. باهتمام: ميرجلال الدين كزّازي، طهران: مركز.

١٧. الخطيب، حسام (١٩٩٢م). *آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً*. دمشق: دارالفكر.

١٨. الدميري، كمال الدين أبو البقاء (١٤٢٤هـ). *حياة الحيوان الكبرى*. تحقيق أحمد حسن بسج، بيروت: دارالكتب العلمية.

١٩. ذوالإصبع العدواني، حرثان بن محرث (١٩٧٣م)، *الديوان*، جمعه وحققه عبدالوهاب محمدعلي العدواني وممد نائف الدليمي، وخط أشعاره يوسف ذنور، الموصل: مطبعة الجمهور.

٢٠. الراغب الأصفهانى، أبوالقاسم الحسين بن محمد (١٤٢٠هـ). *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

٢١. روياني، وحيد (٢٠١٢م). بررسي تطبيقي جايگاه جغد در ادبيات فارسي و عربي. *مجلة الدراسات الأدبية*، العدد ٧٩، ٨٠ و ٨١، صيف وخريف وشتاء، صص١٥٠-١٦٦.

٢٢. سنائي غزنوي، ابو المجد مجدود بن آدم (١٣٦٨ش). *حديقة الحقيقة وطريقة الشريعة*، *تصحيح مرحوم مدرس رضوي*. ط ٢، تهران: انتشارات دانشگاه تهران.

٢٣. صائب تبريزي، ميرزا محمد علي (١٣٨٧ش). *ديوان اشعار*. طهران: شركت انتشارات علمي وفرهنگي.

٢٤. الطبري، محمد بن جرير (١٣٨٧هـ). *تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك*. وصلة تاريخ الطبري، ط ٢، بيروت: دار التراث.

٢٥. طه، جمانة (١٩٩٩م). *موسوعة الأمثال الشعبية العربية*. الرياض: الدار الوطنية الجديدة.

٢٦. العامري، لبيد بن ربيعة (لا تا). الديوان، بيروت: دار صادر.

٢٧. عبد الله ابن المقفع (١٩٩٠م). *كليلة ودمنة*. باب البوم والغربان، حققه وقدمه: محمد أمين فرشوخ، بيروت: دار الفكر العربي.

٢٨. عبود، عبده (١٩٩٩م). *الأدب المقارن، مشكلات وآفاق*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٢٩. العلامة المجلسي (لا تا). *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*، ج ٥٥، بيروت: مؤسسة الوفاء.

٣٠. فرنبغ دادگي (١٣٩٥ش). *بندهش*. ترجمة: مهرداد بهار، ط ٢، طهران: توس.

٣١. الفؤادي، عبدالهادي (لا تا). *بحث في الأمثال العراقية*، القسم الثاني.

٣٢. قبادياني، ناصر خسرو (١٣٧٨ش). *ديوان*. باهتمام: مجتبي مينوي، طهران: سيماي دانش.

٣٣. كثير عزة (١٩٧١م)، *الديوان*. تجميع وشرح: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة.

www.SID.ir

Archive of SID

٣٤. گريمال، پيـر (١٣٧٨ش). *فرهنـگ اسـاطير يونـان و روم*. ترجمـة: احمـد بـهمـنش، ط ٤، طهران: اميركبير.

٣٥. ليلـي الإخيليـة (لا تـا). *الـديوان*. تجميـع وتحقيـق: خليـل إبـراهيم العطيـة؛ وجليـل العطيـة، بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد.

٣٦. المزي، يوسف بن عبدالحمن (١٤١٤هـ). *فهارس تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف*. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

٣٧. المسـعودي، أبـو الحسـن علـى (١٤٠٩هـ). *مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهـر*. تحقيـق: اسـعد داغر، عدد الأجزاء: ٤، ط ٢، قم: دار الهجرة.

٣٨. معـروف، يحـيى (١٣٩٢هــ). «دراسـة نقديّـة لـدوافع التشـاؤم بـالغراب بـين الفارسـيّة والعربية». *مجلة إضاءات نقديّة* (فصليّة محكمة)، العدد ١٠، السنة ٣، صص١٣٣-١٥٣.

٣٩. المقدسـي، طـاهـر بـن مطهـر (لا تـا). *البـدء والتـاريخ (المنـسوب لـه)*. ج ٢، مـصر: مكتبـة الثقافة الدينية.

٤٠. ملكاوي، دينا (٢٠١٨م). *النثر الخيالي في الأندلس*. عمان: دار الثقافة.

٤١. منشي، نصرالله (١٣٧٧ش). *كليله ودمنه*. تصحيح مجتبي مينويي، طهران: جامعة طهران.

٤٢. مولوي، جلال الدين محمّد (١٣٧٠ش). *كليات ديوان*. وفق نسـخة مصـححة لبـديع الزمـان فروزانفر، تهران: سيماي دانش.

٤٣. نظامي گنجوي، الياس (١٣٦٣ش). *مخـزن الأسـرار*. تصحيح" بهـروز ثروتيـان، طهـران: انتشارات توس.

٤٤. نظامي گنجوي، الياس (١٣٩٠ش). *خمسه نظامي*. ط ٣، طهران: هرمس.

٤٥. النميري، حسن (٢٠٠٨م). *دنيا الحيوان في التّراث العربي*. دمشق: الهيئة العامة للكتاب.

٤٦. عطار نيشابوري، فريدالدين ابو حامد (١٣٧٣ش). *منطق الطير*. باهتمـام: محمـد جـواد مشكور، طهران: انتشارات تهران.

٤٧. وراويـني، سـعدالدين (١٣٦٦ش). *مرزبان نامـه*. باهتمـام: خليـل خطيـب رهـبر، طهـران: صفي علي شاه.

٤٨. هلال، محمد غنيمي (١٩٧٨م). *الأدب المقارن*. بيروت: دار العودة.

www.SID.ir